المُعَوِّذتانِ

((دراسة تحليلية))

الباحث

علي إفْضيلة خضير الشمري

محافظة واسط - العراق

فحوى البحث

يتعرض البحث الى سورتين كريمتين من سور القرآن الكريم جاءتا في آخر سوره بسبب ما روي عن ابن مسعود من انهما ليستا من القرآن لذلك لم يثبتهما في مصحفه.

وقد بسط السيد الباحث تفسير السورتين وأبدى أهم الملاحظات التي حامت حولها من سبب نزول ومعاوني مما ورد في كتب التفسير المعتبرة، ودحض اسطورة سحر النبي ﷺ وانهما جاءتا لابطال هذا السحر.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

ان تطور الحياة الانسانية في المجتمع الاسلامي جاء نتيجة للمتطلبات التي شهدها الواقع السياسي والاجتماعي، فادى الى قيام انماط فكرية ومقاييس واسس وقواعد وضعية حاولت ان تنظم بموجبها علاقات الافراد في المجتمع بعضهم ببعض، فبرزت الى حيز الوسط المعاش قوانين وتشريعات اعتبرت بمثابة اساس فكري عملي يُرتكز عليه، وكانت مؤثرة بنحويها الايجابي والسلبي. ومن هنا تجلت اهمية الاعتناء بالقران الكريم في مواجهة كل ما هو دخيل على الثقافة الاسلامية الاصيلة، من خلال وضع المؤلفات والبحوث والدراسات التي تستوعب مضامينه العالية، فكان ان دلوتُ بدلوي في دراسة تحليلية لسورة الفلق، وفقتُ فيها للوقوف على جملة من المبادئ والمفاهيم، جعلتُها في عدة مستويات، ليسهل على القارئ فهم مداركها واستيعاب مضامينها ومطالبها.

الدراسة التاريخية:

اولاً: سبب النزول:

وهذا يجرنا الى التعرض لفرية سحر النبيﷺ وهي الفرية السمحة التي اخترعها المنافقون والتي تشير الى عدم احترامهم وتوقيرهم لشخص الرسول الاكرم، الصادق الأمين الذي لاينطق عن الهوى والذي عصمه ربه عصمة مطلقة عن الناس وبرأه من تأثيرهم فيه.

تحدثنا الروايات في سبب نزول سورة الفلق أن لبيد بن أعصم اليهودي سحر رسول اللهﷺ ثم دس ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول اللهﷺ فبينا هو نائم إذا أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجليه فأخبراه بذلك و أنه في بئر دروان في جُف طَلْعة تحت راعوفة[1]، فانتبه رسول اللهﷺ و بعث عليا عليه السلام و الزبير و عمار فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة و أخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأس و أسنان من مشطة و إذا فيه معقد في إحدى عشرة عقدة مغروزة بالأبر، فنزلت هاتان السورتان فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة و وجد رسول

(١) الجف: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر يقوم عليها الماتح.

الله ﷺ خفة فقام فكأنما أنشط من عقال و جعل جبرائيل عليه السلام يقول: باسم الله أرقيك من شر كل شيء يؤذيك من حاسد و عين الله تعالى يشفيك[٢].

وقد شكك صاحب مجمع البيان في الرواية التاريخية الواردة بهذا الخصوص، على الرغم من خفتها واختصارها وعدم وصف تأثير السحر على النبي كما رواها بعض المفسرين واهل الحديث والسير برواية بادية السماجة. وكان أشد من طعن بها واستهجنها المعتزلة باعتبار أنها توجب تسلط الكفار والاشرار على الانبياء. و ايضا، لو صحت الرواية لصح قولهم ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٨] معللاً ذلك «و لكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه و أطلع الله نبيه ﷺ على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج و كان ذلك دلالة على صدقه و كيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم و لو قدروا على ذلك لقتلوه و قتلوا كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم له»[٣].

وايّد صاحب تفسير الامثل ما ذهب اليه الطبرسي، مفصلا في الاسباب الذي تدعوه الى تبني مذهب التشكيك في سبب نزول السورة الكريمة...

أوّلاً: السّورة كما هو مشهور مكّية ولحنها مثل لحن السور المكّية، والنّبي جابه اليهود في المدينة وهذا يدل على عدم أصالة الرّواية.

ثانياً: لو كان اليهود بمقدورهم أن يفصلوا بسحرهم ما فعلوه بالنّبي حسب الرّواية لاستطاعوا أن يصدوه عن أهدافه بسهولة عن طريق السحر، والله سبحانه قد حفظ نبيّه كي يؤدي مهام النّبوة والرسالة.

ثالثاً: لو كان السحر يفعل بجسم النّبي ما فعله لأمكن أن يؤثر في روحه أيضاً، وتكون أفكاره بذلك لعبة بيد السحرة، وهذا يزلزل مبدأ الثقة بالنّبي ﷺ، والقرآن الكريم يردّ على أُولئك الذين اتهموا النّبي ﷺ بأنّه مسحور إذ قال: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ

(٢) مجمع البيان، للطبرسي، ج١٠ ص٤٩٢.

(٣) المصدر السابق.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[سورة الفرقان: ٨-٩]. و«مسحور» في الآية تشمل من أُصيب بسحر في عقله أو في جسمه، وهي دليل على ما نذهب إليه.

على أي حال لا يجوز أن نمسّ من قداسة مقام النبوّة بهذه الرّوايات المشكوكة، أو أن نعتمد عليها في فهم الآيات[٤].

وقد رد العلامة الطباطبائي على المشككين في هذا الامر، اذ لم يستبعد تأثره ﷺ بالسحر في بدنه وفي صحته لا في عقله وسلوكه كما ذهب الى ذلك المخرفون. يقول في هذا الصدد و بعبارة يعتريها الارتباك والغموض لمن لايملك القدرة على التتبع إذ أن استشهاده بآية سورة الفرقان لاتثبت صحة كونه (رجلاً مسحوراً) لانه دعوى المشركين الأعداء ولاحجة فيه على الصدق. «و ما استشكل به بعضهم في مضمون الروايات أن النبي ﷺ كان مصونا من تأثير السحر كيف؟. و قد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[سورة الفرقان: ٨ -٩]. يدفعه أن مرادهم بالمسحور و المجنون بفساد العقل بالسحر (حاشاه) و أما تأثره عن السحر بمرض يصيبه في بدنه و نحوه فلا دليل على مصونيته منه[٥].

وفي كل الاحوال فالسّورة المباركة تتضمّن تعاليم للنّبي ﷺ خاصّة، وللناس عامّة تقضي أن يستعيذوا باللهّ من شرّ كلّ الأشرار، وأن يوكلوا أمرهم إليه، ويأمنوا من كل شرّ في اللجوء إليه.

ثانياً: مشروعية الاستعاذة.

ذهب فقهاء مدرسة اهل البيت ﷺ الى أَنَّهُ يَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِالرُّقَى وَالْعُوَذِ، خاصة الواردة عن الرسول الاكرم ﷺ واهل بيته الطاهرين ﷺ، دون الرُّقَى وَالْعُوَذ المصنوعة التي لا يعرف لها اصل، وقد وافقهم جمهور المسلمين على ذلك الا القليل منهم ممن تمسك ببعض الروايات التي لا تصمد

(٤) الامثل، للشيرازي، ج١٥ ص ٦١٦.

(٥) الميزان، للطباطبائي، ج٢٠ ص٤٥٥.

امام كثرة الروايات المؤيدة للرقى والعوذ، واليك-عزيزي -بعض منها...

١. مَارُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اشْتَكَى فَرَقَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَاللهُ يَشْفِيكَ.

٢. عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ قَالَ: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ».

٣. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا مِنَ الْأَوْجَاعِ كُلِّهَا وَالْحُمَّى هَذَا الدُّعَاءَ: «بِسْمِ اللهِ الْكَرِيمِ، أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ».

٤. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، يَقُولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» وَيَقُولُ: هَكَذَا كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ.

٥. قَالَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُبْطِلُنِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَيْهِ، وَقُلْ بِسْمِ اللهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ» سَبْعَ مَرَّاتٍ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَشَفَانِي اللهُ.

٦. وقد سُئِلَ الامام الْبَاقِرُ عليه السلام عَنِ التَّعْوِيذِ يُعَلَّقُ عَلَى الصِّبْيَانِ فَرَخَّصَ فِيهِ(٦).

وَأُجِيبَ عَنْ الروايات التي ظاهرها النهي بِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ عَنِ الرُّقَى الْمَجْهُولَةِ الَّتِي لَا تُعْرَفُ حَقَائِقُهَا، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مَوْثُوقٌ، فَلَا نَهْيَ عَنْهُ(٧).

ثالثاً: قرآنية سورة الفلق.

من المسائل التي اثارت جدلا وسمحت للمتربصين بالإسلام وكتابه المنزل هي مسالة كون (المعوذتين) سورة الفلق وسورة الناس هل هما من القران ام انها مجرد عوذة علمها الله تعالى لنبيه محمد ﷺ لسبب ما ليس اكثر، لما يرونه عن الصحابي عبد الله بن مسعود في الدر المنثور، أخرج أحمد و البزار و الطبراني

(٦) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج ٣٢ ص ٣٦٨.
(٧) المصدر السابق.

و ابـن مـردويـه مـن طـرق صحيحة عن ابـن عباس و ابـن مسعود أنـه كـان يحك المعوذتين من المصحف و يقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه إنهاطبما ليستا من كتاب الله إنما أمر النبي أن يتعوذ بهما، و كان ابن مسعود لا يقرأ بهما[٨].

والروايات الواردة بهذا الخصوص من الكثرة بحيث لا يصمد امامها هكذا راي شاذ-على فرض صحة نسبته الى الصحابي الجليل ابن مسعود -، فقد روي في فضيلة هذه السّورة عن النّبيﷺ قوله: «أُنزلت عليَّ آيات لم ينزل مثلهنّ: المعوذتان»[٩]. وعن أبي جعفر محمّد بن علي الباقرؑ قـال: «من أوتـر بالمعوذتين وقل هو اللهّ أحد قيل له: يا عبد اللهّ أبشر فقد قبل اللهّ وترك»[١٠].

وعن النّبيﷺ قال لأحد أصحابه: «ألا أعلمك سورتين هما أفضل سور القرآن، أو من أفضل القرآن؟. قلت: بلى يا رسول اللهّ. فعلمني المعوذتين. ثمّ قرأ بهما في صلاة الغداة، وقال لي إقرأهما كلما قمت ونمت»[١١].

وذكر القمي في تفسير، بإسناده عن أبي بكر الحضرمي ان الامام الباقرؑ قد رد ردا صريحا على هذه الشُبهة قال: قلت لأبي جعفرؑ إن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف. فقال: كان أبي يقول: إنما فعل ذلك ابن مسعود برأيه وهما من القرآن[١٢].

ويذكر السيوطي عن البزار قوله: و لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة و قد صح عن النبيﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة، و قد أثبتتا في المصحف[١٣].

كما رد الماوردي في تفسيره على ذلك قائلاً «وقيل: إن المعوذتين كان يقال لهما (المقشقشتان) أي مبرئتان من النفاق، وزعـم ابـن مسعود أنهـما دعـاء تعوذ به وليستا من القرآن، وهذا قول خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت»[١٤].

(٨) الميزان، للطباطبائي، ج٢٠ ص ٤٥٦.
(٩) نور الثقلين، ج٥، ص٧١٦، ومجمع البيان، ج١٠، ص٥٦٧.
(١٠) المصدر السابق.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) الميزان، للطباطبائي، ج٢٠ ص٤٥٧.
(١٣) المصدر السابق.
(١٤) تفسير الماوردي = النكت والعيون ج ٦ ص ٣٧٣.

الدراسة اللغوية:

المستوى الاول: المستوى الصرفي[١٥].

قُـلْ: امـر الـفـعـل الـثـلاثـي المعتل الاجوف قَال يَقُول باب نصر، وزنه فُلْ فيه اعـلال بحذف عين الكلمة (الـواو) للتخلص من التقاء ساكنها مع ساكن اللام الذي لحقه لعلة بناء الامر الصحيح الاخر على السكون. «والأصل عند أهل البصرة أقول على وزن أُقْتُلْ، فاستثقلوا الضمة على الواو فنقلوها إلى القاف، فلما تحركت القاف استغنوا عن ألف الوصل فصار قول، فالتقى ساكنان الواو واللام، فحذفوا الواو لالتقاء الساكنين، وعندأهل الكوفة الأصل لتقول في جزم ونهب لام الأمر، قالوا: ثم حذفناحرف الاستقبال واللام في الأمر تخفيفا، فهوعندهم مجزوم بتلك اللام المقدرة. وعند أهل البصرة لما حذفت تلك اللام وحرف المضارع صار موقوفا، لا مجزوما؛ لأن العامل إذا وجد عمل، وإذا فقد بطل عمله»[١٦].

أَعُـوذُ: مضارع الفعل الثلاثي المعتل الاجوف عَاذَ باب نصر.

رَبّ: اسم بمعنى سيِّد، مالك الشّيء، اله، وهو مصدر الفعل الثلاثي الصحيح المضعّف رَبَّ يَرُبّ باب نصر، ثم استعمل صفة كعدل وخصم، وزنـه فَعْل بفتح الفاء وسكون العين، والجمع منه أرباب (لغير المصدر) ورُبوب (لغير المصدر)، مؤنثه ربَّة لغير المصدر وتُجمع ربّات (لغير المصدر) ورِباب (لغير المصدر)[١٧].

الفَلَق: صفة مشبهة تدل على الثبوت بمعنى المفعول اي المُنْفَلِق، من الفعل الثلاثي الصحيح فَلَقَ يَفْلِقُ باب ضرب، وزنه فَعَل بفتح الفاء والعين[١٨].

شَرّ: اما مصدر للفعـــــل الثلاثي

(١٥) علم الـصّرف: هو علم وُصِـف بـميزان العربية، وبه تعرف أصـول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به. ينظر: المنصف، ابن جني، ج١ ص٢. وذكر ابن عصفور أنه كان ينبغي أن يقَدَّم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب. ينظر: الممتع ١/ ٣٠، والتصريف الملوكي ١٨ -١٩.

(١٦) اعراب ثلاثين سورة، ابن خالويه: ٢٣٢.

(١٧) المعجم الصرفي لالفاظ القران الكريم، محمد جليل الحسناوي، باب (الـراء)، (مخطوط).

(١٨) الميزان، الطباطبائي، ج٢٠ ص٣٦٦.

الصحيح المضعّف شَرَّ يَشِرّ باب ضرب، وشَرَّ يَشُرّ باب نصر، وشرَّ يَشَرّ باب فرح. أو هو اسم تفضيل من الثلاثي شرَّ (على غير قياس)، والأصل أشرّ حذفت منه الهمزة بمعنى أكثر سوءًا وفسادًا، وزنه فَعْل بفتح الفاء وسكون العين، والجمع أَشْرَار (لغير المصدر) و شِرار (لغير المصدر) و شُرور (لغير المصدر).

خَلَقَ: فعل ثلاثي صحيح مضارعه يَخْلُق باب نصر.

غَاسِق: اسم فاعل من الفعل الثلاثي الصحيح غَسَقَ يَغْسِق باب ضرب، وزنه فَاعِل.

وَقَبَ: فعل ثلاثي معتل مثال مضارعه يَقِبُ باب ضرب، حذفت فاء الكلمة (الواو) من مضارعه تخفيفاً.

النَّفَّاثَاتِ: جمع النَّفَّاثَة مؤنث النَّفَّاث صيغة مبالغة من الفعل الثلاثي الصحيح نفَثَ يَنفُث ويَنفِث باب نصر وباب ضرب، وزنه فَعَّالَة بفتح الفاء والعين المشددة.

عُقَد: جمع تكسير كثرة على وزن فُعَل بضم الفاء وفتح العين، مفرده عُقْدَة اسم لـ موضع العَقْد في الحبل ونحوِه، ويراد به ما يرتبط القلب بتصديقه، وزنه فُعْلَة بضم الفاء وسكون العين وفتح اللام، ويجمع ايضا عُقُدات وعُقْدَات[19].

حَاسِد: اسم فاعل من الفعل الثلاثي الصحيح حسَدَ يَحْسُد ويحسِد باب نصر وباب ضرب، وزنه فَاعِل، ويجمع حَاسِدُونَ وحَسَدَة وحُسَّاد وحُسَّد.

المستوى الثاني: المستوى النحوي.

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ قل: فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت. وجملة (أعوذ) مقول القول، و(أعوذ) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا، و(برب الفلق) متعلقان بـ (أعوذ) و(من شر) متعلقان بأعوذ[20]، ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ «مَا» بِمَعْنَى الَّذِي، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، وَأَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً. وَقُرِئَ: مِنْ شَرِّ -بِالتَّنْوِينِ، وَ «مَا» عَلَى

(١٩) المصدر السابق باب (العين).

(٢٠) الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، ج٣٠ ص ٤٢٧. إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ج١٠ص ٦٢٣. إعراب القرآن للدعاس، ج٣ ص٤٧٦، إعراب ثلاثين، ابن خالويه: ٢٣٢-٢٣٧.

هَذَا بَدَلٌ مِنْ شَرٍّ، أَوْ زَائِدَةٌ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً؛ لِأَنَّ النَّافِيَةَ لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا مَا فِي حَيِّزِهَا؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: مَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ؛ ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ، فِي الْمَعْنَى[٢١]. و(وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ) عطف على ما تقدم و(إذا) ظرف لمجرد الظرفية وجملة (وقب) في محل جر بإضافة الظرف إليها. و(وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ) عطف على ما تقدم أيضا وفي العقد متعلقان بالنفاثات. و(وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ) عطف على ما تقدم وإعرابه ظاهر. وجملة: «قل..» لامحلّ لها ابتدائيّة. وجملة: «أعوذ..» في محلّ نصب مقول القول. وجملة: «خلق..» لامحلّ لها صلة الموصول (ما). وجملة: «وقب..» في محلّ جرّ مضاف إليه. وجملة: «حسد..» في محلّ جرّ مضاف إليه[٢٢].

الدراسة التفسيرية:

(٢١) التبيان في إعراب القرآن ج ٢ ص ١٣١٠.
(٢٢) الجدول في إعراب القرآن، محمود صافي، ج٣٠ ص ٤٢٧. إعراب القرآن وبيانه، للدرويش، ج١٠ص ٦٢٣. إعراب القرآن للدعاس، ج٣ ص٤٧٦، إعراب ثلاثين، ابن خالويه: ٢٣٢ -٢٣٧.

ذَكَرُوا فِي الْفَلَقِ وُجُوهًا...

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الصُّبْحُ وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ قَالَ الزَّجَّاجُ: لِأَنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عَنْهُ الصُّبْحُ وَيُفْرَقُ فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ يُقَالُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ.

الثَّانِي: فِي الْفَلَقِ أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا يَفْلِقُهُ اللهُ كَالْأَرْضِ عَنِ النَّبَاتِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾[سورة الْأَنْعَامِ: ٩٥] والجبال عن العيون: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[سورة البقرة: ٧٤] وَالسَّحَابِ عَنِ الْأَمْطَارِ وَالْأَرْحَامِ عَنِ الْأَوْلَادِ وَالْبَيْضِ عَنِ الْفَرْخِ وَالْقُلُوبِ عَنِ الْمَعَارِفِ.

الثالث: أنه وادٍ في جهنم، أو بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا فُتِحَ صَاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ، وإنما خصه بالذكر هاهنا لِأَنَّهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا التَّعْذِيبِ الْعَظِيمِ الْخَارِجِ عَنْ حَدِّ أَوْهَامِ الْخَلْقِ، ثُمَّ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَحْمَتَهُ أَعْظَمُ وَأَكْمَلُ وَأَتَمُّ مِنْ عَذَابِهِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا صَاحِبَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ أَعُوذُ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ وَأَكْمَلُ وأتم وأسبق وأقدم من عذابك[٢٣].

(٢٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير

ذكـروا فِي تَفْسِيرِ قوله ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ وُجُوهاً.

أَحَدُهَا: يُرِيدُ إِبْلِيسَ خَاصَّةً لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ وَلِأَنَّ السُّورَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنَ السِّحْرِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِإِبْلِيسَ وَبِأَعْوَانِهِ وَجُنُودِهِ.

وَثَانِيهَا: يُرِيدُ جَهَنَّمَ كَأَنَّهُ يَقُولُ: قُلْ أَعُـوذُ بِـرَبِّ جَهَنَّمَ وَمِـنْ شَدَائِدِ مَا خَلَقَ فِيهَا.

وَثَالِثُهَا: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ يُرِيدُ مِنْ شَرِّ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ الْمُؤْذِيَاتِ كَالسِّبَاعِ وَالْهَوَامِّ وَغَيْرِهِمَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ مَنْ يُؤْذِينِي مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَيْضًا.

وَرَابِعُهَا: أَرَادَ بِهِ مَا خَلَقَ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْـقَـامِ وَالْـقَـحْـطِ وَأَنْـوَاعِ الْمِـحَـنِ وَالْآفَاتِ[٢٤].

ذَكَرُوا فِي الْغَاسِقِ وُجُوهًا...

أَحَـدُهَـا: أَنَّ الْغَاسِقَ هُوَ اللَّيْلُ إِذَا عَظُمَ ظَلَامُهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ [سورة الإسراء: ٧٨] وَمِنْهُ غَسَقَتِ الْعَيْنُ إِذَا امْتَلَأَتْ دَمْعًا وَغَسَقَتِ الْجِرَاحَةُ إِذَا امْـتَـلَأَتْ دَمًـا، وَهَـذَا قَـوْلُ الْـفَـرَّاءِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنْشَدَ ابْنُ قَيْسٍ: إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ قَدْ غَسَقَا.. . وَاشْتَكَيْتُ الْهَمَّ وَالْأَرَقَا.

والثاني: قَالَ الزَّجَّاجُ الْغَاسِقُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْبَارِدُ، وَسُمِّيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا لِأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ إِنَّهُ الزَّمْهَرِيرُ.

وَثَالِثُهَا: قَالَ قَوْمٌ: الْغَاسِقُ وَالْغَسَّاقُ هُوَ السَّائِلُ مِنْ قَوْلِهِمْ: غَسَقَتِ الْعَيْنُ تَغْسِقُ غَسْقًا إِذَا سَالَتْ بِالْمَاءِ، وَسُمِّيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا لِانْصِبَابِ ظَلَامِهِ عَلَى الْأَرْضِ[٢٥].

في معنى (النفاثات).

١. هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ الْيَهُودِيِّ سَحَرْنَ النَّبِيَّ ﷺ.

٢. النُّفُوسُ.

٣. لْجَمَاعَاتُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ اجْتِمَاعُ السَّحَرَةِ عَلَى الْعَمَلِ الْوَاحِدِ أَكْثَرَ كَانَ التَّأْثِيرُ أَشَدَّ.

٤. النِّسَاءِ ينفثن فِي عَزَائِمِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ وَهُوَ مُسْتَعَارٌ مِنْ عَقْدِ الْحِبَالِ[٢٦].

الدراسة الفنية:

الكبير، ج٣٢ ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٢٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ج٣٢ ص ٣٧٣. تفسير الماوردي = النكت والعيون ج ٦ ص ٣٧٤.

(٢٥) المصدر السابق.

(٢٦) المصدر السابق.

الآيـــــــة الاولى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾.

- مجيء الامر بصيغة الفعل الامر المباشر دليل على اهمية المأمور به، وهل الامر هنا حقيقي اي ملزم ام خرج الى المجاز، كلا الامرين محتمل.
- جيء فعل الاستعاذة بصيغة المضارع يدل على ضرورة الاستمرار في هذا الفعل، وعدم الغفلة والسماح لتلك الشرور من السيطرة.
- إنَّ اسْمَ الرَّبِّ يُشِيرُ إِلَى التَّرْبِيَةِ فَكَأَنَّهُ بالاستعاذة بالرب جَعَلَ تَرْبِيَةَ اللهِّ لَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ وَسِيلَةً إِلَى تَرْبِيَتِهِ لَهُ فِي الزَّمَانِ الْآتِي، وفيه تَنْبِيه عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا تَنْقَطِعُ عَنْكَ تَرْبِيَتُهُ وَإِحْسَانُهُ.
- إنّ الفلق له معنى واسع يشمل كلّ خلق، لأنّ الخلق، هو شقّ ستار العدم ليسطع نور الوجود.
- إنَّ ارتباط الفلق -بمعنى الصبح -بالاستعاذة يشتمل على اشارات تربوية عدة...

احداها: القدرة، فالسياق قائم على ترسيخ مفهوم القدرة الالهية المطلقة، فمن كان قادر على ازالة ظلمة الليل وتحويله الى نور النهار بظاهرة كونية ابدع الخالق سبحانه في صياغتها، فهو قادر على ازالة الظلمات الصادرة عن الشرور التي هي مصدر خوف وارهاب للمتعوذينَ الطالبين للأمن والسلام.

الثانية: الامل، وهو امر ضروري يحتاجه العائذ الخائف، فمهما طالت الظلمة وشغلت من مساحة في الافق، فلا بد ان تنجلي ليحل محلها النور، والامل كفيل بإدامة زخم المواجهة والصمود بوجه تلك الظلمات المحيطة بالعائذ.

الثالثة: الامان، فاذا ما ادرك العائذ حقيقة الاستعاذة برب الفلق، وما يترتب على ذلك من ايمان بقدرته سبحانه، والامل بانكشاف الظلمة، فان ذلك حتما سيفضي الى تحصيل الامان والفرج، والنجاة من شرور كل ما استعاذ بها العائذون.

الرابعـــة: التنظيم، انه سبحانه يؤكد على مسالة هي في غاية الاهمية -ولطالما اكد عليها في مواضع عديدة من القران الكريم-الا وهي اهمية الوقت، وضرورة تنظيمه وتقنينه، فاختيار الوقت المناسب

امـر ضروري في تحصيل الاهـداف المنشودة، وترتيب الاثـار المتوخاة منه، واختيار وقت الصبح كونه من اهم اوقات استجابة الدعاء.

الخامسة: التذكير بالموت والحياة، وما يترك هذا التذكير من اثر ايجابي في استقامة الفرد المسلم، فكما ان الصبح ينفلق عن الظلمة او يفلقها، كذلك الحياة تنفلق عن الموت، ويتجسد ذلك جليا في يوم المعاد، وتكون استعاذة الناس بربهم في اوضح صورها واشدها موقفاً.

- كما ينبغي لنا الوقوف على مفهوم الاستعاذة عند التلفظ بها، بل لا بد من تهيئة الاسباب والمقدمات لتكون فاعلة ومؤثرة، فالاستعاذة الحقة هي التي تتمثل في الالتجاء والاعتصام الحق بالله سبحانه صاحب القدرة المطلقة، ولعل اولها افراغ القلب مما عداه سبحانه، وبه يتحقق صدق الالتجاء وتجسد بأوضح مصاديقه، كذلك ينبغي بالمستعيذ ان يكون صاحب ايمان حقيقي بالمستعاذ به وانه قادر قوي ليدخله في حصنه الحريز، ويدافع عنه من الشرور التي يمكن ان تكتنفه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[سورة الحج: ٣٨].

وخلاصة القول ان سلامة القلب مقدمة اساسية في تحصيل الحصانة الالهية، لهذا نجد الامر بالاستعاذة صدر الى النبي محمدﷺ باعتباره الأُسوة والقدوة، فيلاحظ أنّ أوّل آية في السّورة تأمر النّبيﷺ أن يستعيذ بربّ الفلق، من شرّ ما خلق. وانتخاب «ربّ الفلق» قد يعود إلى أنّ الموجودات الشريرة تطفيء نور السلامة والهداية. لكن اللهّ سبحانه ربّ الفلق... ربّ فلق الظلمات، فالعائذ يجدر به ان يكون على مستوى يؤهله للاعتصام بـ (رب الفلق).

الاية الثانية: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

- مجي لفظ (شرّ) نكرة يفيد العموم، مجي الاسم الموصول المشترك (ما) يستفاد منه صفات الخلق لا ذواتهم، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[سورة النساء: ٣]، فـ (مَا) تشير الى الصفات دون الذوات،

فالخلق الإلهي لا ينطوي في ذاته على شرّ، لأنّ الخلق هو الإيجاد، والإيجاد خير محض، بل الشرّ يعرض المخلوقات حين تنحرف عن قوانين الخلقة.

الاية الثالثة: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾.

يمكن لنا ان نوسع مفهوم (الغاسق) وهو الظلمة لا تقف فيها عند المعنى المعجمي، بل نتعداه ليصبح ذا بعد اعمق واوسع، ظلمة اشد خطورة واكثر تاثيرا من ظلمة الليل، الا وهي ظلمة القلب -الذي هو مركز الادراك الفكري والعاطفي -تاكيداً على ما سبق في أن سلامة القلب مقدمة اساسية في تحصيل الحصانة الالهية، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[سورة الصافات: ٨٣، ٨٤].